African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 2, Issue 2, April-June 2023, Page No: 297-307
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2022: 1.04 SJIFactor 2022: 4.338 ISI 2022: 0.510

مملكة إسرائيل بين الحدث التوراتي والتاريخ الأشوري

د. عصام كامل جبر مخيمر*
أستاذ التاريخ القديم المساعد، قسم التاريخ والعلوم السياسية، كلية الآداب، جامعة الازهر، غزة، فلسطين

The Kingdom of Israel Between the Biblical Event and The Assyrian History

Dr. Esam Kamel Jabr Mokhamar*
Assistant Professor of Ancient History، Department of History and Political Science، Faculty of Arts، Al-Azhar University، Gaza، Palestine

*Corresponding author esam.m.1968@hotmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2023-03-19 **تاريخ القبول:** 2023-04-17 **تاريخ النشر:** 2023-04-23

الملخص
بعد وفاة سيدنا سليمان علية السلام، انقسمت المملكة الموحدة الى مملكتين، مملكة في الشمال، واخرى في الجنوب، ولقد تميزت المملكتان بالصراع الداخلي فيما بينها، بالإضافة للصراعات الخارجية مع المصريين والاشوريين والبابليين، وفي النهاية تمكن البابليون القضاء على مملكة يهوذا، والاشوريين قضوا على مملكة إسرائيل، وتعتبر الإمبراطورية الأشورية من أعظم إمبراطوريات الشرق الأدنى القديم، ولها العديد من الإنجازات السياسية و العسكرية و الحضارية، وخلال الحكم الأشوري الطويل اصطدموا بالعديد من القوى من أجل الهيمنة على منطقة الهلال الخصيب، و كانوا من ضمن القوى التي تدخلت في فلسطين، و قضوا على مملكة السامرة عاصمة مملكة إسرائيل (التوراتية)

ولقد اعتمد البحث على التوراة كمصدر لهذه الاحداث، بالإضافة للرواية الأشورية التي غطت هذه الفترة الزمنية من خلال الحوليات الاشورية.

الكلمات المفتاحية: إسرائيل، التوراة، الحوليات، الأشورية

Abstract
After the death of our master Solomon, peace be upon him, the unified kingdom was divided into two kingdoms, a kingdom in the north, and another in the south, and the two kingdoms were characterized by internal conflict between them, in addition to external conflicts with the Egyptians, Assyrians, and Babylonians, and in the end the Babylonians were able to eliminate the kingdom of Judah, and the Assyrians eliminated the kingdom Israel, and the Assyrian Empire is considered one of the greatest empires of the ancient Near East, and it has many political, military and civilizational achievements. On the Kingdom of Samaria, the capital of the Kingdom of Israel (Biblical).

The research relied on the Torah as a source for these events, in addition to the Assyrian novel that covered this time period through the Assyrian annals.

Keywords: Israel, Torah, Annals, Assyrian

مقدمة:

لقد ازدهرت الدولة الأشورية في العصر الأشوري الحديث، وكان لها دور مهم في الجوانب السياسية والعسكرية واحتلت مكانا مميزا، نتيجة ضعف دول الشرق القديم، ولذلك برزت كقوة يحسب لها حساب وأصبحت تتصدر المشهد السياسي والعسكري في المنطقة، ولقد ساعد ضعف الممالك الآرامية الى انتشار وتوسع الأشوريين، خصوصا بعد ضعف مملكة بابل، ورغبة الإله أشور زيادة مساحة الإمبراطورية الأشورية، ولقد استطاع الأشوريين تكوين دولة واسعة ومترامية لامتلاكهم جيش قوى، ولقد تميزت الحملات العسكرية الأشورية، بدوافعها الاقتصادية والدفاعية، بالإضافة للأهداف الدينية.

وسرعت النزاعات الداخلية في كل من سوريا وفلسطين وقوعهم في أيدي الأشوريين، ولقد أهتم الأشوريين ببلاد سورية القديمة، نتيجة غناها بالأخشاب والمعادن، بالإضافة لسواحلها المطلة على البحر المتوسط، التي تعتبر منفذ للتجارة الدولية، وتعتبر معركة "قرقر"853 ق.م من المعارك المهمة التي وقعت احداثها على الساحة الفلسطينية السورية.

ولقد أدى ضعف المملكة اليهودية الموحدة، والانقسام بين المملكتين الشمالية وكانت تسمى بإسرائيل وعاصمتها شكيم، وتكونت من جميع الأسباط، ما عدا سبطي يهوذا وبنيامين الذين تشكلت منهم المملكة الثانية في الجنوب وكانت عاصمتها أورشليم، وظلت المملكتان تتعرضان للضغوط الخارجية من مصر والعراق، وكانتا تميلان للطرف الأقوى دائما.

ولقد ورد في العهد القديم والحوليات الأشورية، الأحداث التي جرت بين الأشوريين والإسرائيليين، التي في النهاية ادت الى زوال إسرائيل

ومن أهم المصادر التي سوف نعتمد عليها في هذا البحث روايات العهد القديم، بالإضافة الى النصوص الأشورية.

مشكلة الدراسة:

- توضيح الإشكالية، بين الدولة الأشورية و (مملكة إسرائيل) من خلال تمردها، وفى النهاية زوالها.
- بيان العلاقة المتناقضة، وتتعدد الولاءات، التي تبين ضعف مملكة اسرائيل، وتحالفها مع الدول، والاقوى الأخرى.
- اعتماد الرواية الصهيونية في كتابة تاريخ فلسطين القديم على النص التوراتي، لدعم حق اليهود في فلسطين بناء على الرواية التوراتية، من أجل أضفاء الشرعية على إسرائيل المعاصرة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- بيان هدف الأشوريين من الحملات العسكرية على المنطقة بشكل عام.
- بيان ضعف مملكة اسرائيل وانحيازها للطرف الأقوى.
- الخلافات الداخلية كانت سبب في ضعف مملكة اسرائيل القديمة وهذه الخلافات ستكون سبب في نهاية اسرائيل الحالية والدليل على ذلك الانتخابات الأخيرة.
- عدم وجود قائد تاريخي يوحد الجماعات اليهودية، وهذا دليل على انهيار اسرائيل الحالية من الداخل.

أهمية الدراسة:

- عدم تناول الدراسات السابقة بعمق لهذه الفترة من تاريخ ما يسمى مملكة إسرائيل.
- تفنيد المزاعم والأساطير الاسرائيلية بالسيطرة على ارض فلسطين في الفترة الاشورية.

منهج الدراسة:

المنهج التحليلي التاريخي: من خلال تتبع النصوص التوراتية ونقدها.

المنهج النقدي: من خلال نقد الرواية التوراتية؟

انقسام مملكة اسرائيل الموحدة بعد سيدنا سليمان عليه السلام:

"زعمت التوراة أن سيدنا سليمان فرض ضرائب باهظة، عانى منها شعبه، و بموته كان نهاية المملكة الموحدة (الحوت،1991، ص30) بعد حكمه (أربعين) سنة، كما ورد في العهد القديم "وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان في أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة"(الملوك الأول (11،42)، وبوفاة سيدنا سليمان تفككت المملكة التي أسسها داود عليه السلام بالانهيار و التحلل."

وحد سيدنا داوود وسليمان شعبي اسرائيل ويهودا بشكل مؤقت، ويعتبر العامل الاقتصادي السبب المباشر للانقسام، للاختلاف بين الاقتصادين، فاقتصاد اسرائيل يختلف عن يهودا، فشعب إسرائيل يعتمد على زراعة القمح والزيتون والكروم، واقتصاد يهودا اعتمد على الرعي. ووجد سبب اخر للانقسام أن القبائل الشمالية، تأثرت بالطقوس الكنعانية، وفضلت عبادة الألوهيم (جمع إيل)، وفضلت قبيلتا: يهوذا وبنيامين في الجنوب عبادة (يهوه) لبساطته (حتى،1958، ص208)

ولقد تميزت العلاقة مع المملكتين بالمشاحنات ووصلت لحد التحالف مع الاعداء، بالإضافة لسوء العلاقات السياسية مع الدول، و الممالك الاخرى في منطقة الشرق القديم، واول مواجهة عسكرية مع الاشوريين كانت في عهد الملك اخاب، بعدما تحالفوا مع المصريين وتمردوا على الدولة الاشورية، ولكن السلوك المتبع في الشرق القديم ان تخضع الدويلات الصغرى للكبرى، فكان لابد ان تخضع الممالك الصغيرة لا حدى الدول الكبرى، او تتعرض للقمع العسكري، فدخلت هذه المملكة في التحالف مع الممالك الصغيرة في الشام وبلاد كنعان ضد الاشوريين بقيادة (شلمنصرالثالث)859-824ق.م الذى مد نفوذه الى هذه المنطقة(مهران،1977،ص388)

ولقد بدأ الانقسام بين الأسباط زمن سيدنا سليمان عليه السلام (العامرى،1972، ص153)

وبدأ الانشقاق بمشكلة الخلافة، ولم تكن الخلافة موضع نزاع في بداية الأمر، ف(رحبعام) ورث أبيه سليمان، و اجتمع أسباط اسرائيل في المعبد القديم في (شكيم) ليضعوا شروطهم على (رحبعام) و ليعقدوا معه اتفاق قبل تنصيبه، للحفاظ على وحدة الاسباط، فرفض رحبعام شروطهم في تخيف الأعباء من الضرائب التي فرضها ابيه سليمان وكما ورد في العهد القديم "إن أباك قسى نيرنا و أما انت فخفف الان من عبودية ابيك القاسية ومن نيره الثقيل الذى جعله علينا فنخدمك"(الملوك الأول4/12) فرد عليهم "أبى أدبكم بالسياط و أنا أؤدبكم بالعقارب ولم يحمل عليكم شيئا إلا و أنا سأحمل أضعافه"(الملوك الأول 11/12)

مما ادى الى تفرق بنى اسرائيل، وخرجت عن طاعته الأسباط العشرة، وبقى أميرا على سبطي:يهوذا وبنيامين(الملوك الأول12/12)

نتيجة رد (رحبعام) لم تعترف قبائل اسرائيل بحكمه عليهم، و اختاروا (يربعام بن نباط) من قبيلة افرايم ملكا عليهم (الملوك الأول، الاصحاح 12) وكان يربعام تمرد على حكم سليمان، ففر الى مصر ثم رجع

بعد وفاته (الملوك الاول 12/2-3) و بذلك شكلت تلك القبائل مملكة اسرائيل التي كانت عاصمتها أولا (شكيم)ثم (ترزة) ثم (السامرة)(حتى،1958، ص208)

أراد حاخامات إسرائيل أن يعيدوا التقليد القديم الذى كان يعتبر أن الملكية الوراثية مناقضة لشرائع إسرائيل (صموئيل الثانى1/20) فاختاروا يربعام، باعتباره مختارا من لدن يهوه بواسطة نبيه (أخيا الشيلونى)، و معترفا به من قبل حاخامات قبائل إسرائيل (الملوك الأول15/12)

ويعتبر (يربعام بن نباط) الملك الأول على الأسباط العشرة، وهو قائد عسكري وكان له مخالفات دينية، لأنه خالف تعاليم الأنبياء، وعبد الأصنام، بالإضافة لتعين كهنة من غير سبط (لاوى)، وكان انانيا باتخاذ القرارات (طويلة،2004، ص131) مما ادى الى سقوطه ونهاية حكمه.

وبذلك انقسمت المملكة الواحدة الى مملكتين، مملكة يهوذا في الجنوب، ومملكة اسرائيل في الشمال، وهما مملكتان صغيرتان بين الدول الاخرى الأشورية – الفلسطينية، واحتفظت مملكة يهوذا حتى نهايتها بملوك من سلالة داود، بينما مملكة إسرائيل – التي أرادت العودة الى العهد القديم – فقد كانت مرتعا خصبا لاضطرابات كثيرة، كالانقلاب والقتل، ناهيك عن أعمال الاغتصاب (جارودي، 1986، ص136)

وكان تنافس وعداء بين المملكتين وكان لكل منهما أيام ازدهار وانحطاط، وشهدت مملكة إسرائيل تغيرات في ملوكها حيث شهدت (تسعة عشر) ملكا في مدة قرنين لقى (عشرة)منهم حتفهم قتلا على أيدي قومهم، مما أدى الى اتجاهها ناحية الانحلال الداخلي. وكان للثورات والمكائد التي شهدتها المملكتان السبب الرئيسي لخرابهما (حتى، 1958، ص209،208)

الحملات العسكرية الاشورية على سورية وفلسطين والقضاء على مملكة إسرائيل:

اولًا: شلمنصر الثالث:

خلف (شلمنصر الثالث) أباه (أشور ناصر بال) في حكم الإمبراطورية الأشورية، وورث عنه إمبراطورية واسعة أستطاع إدارتها بكفاءة والمحافظة عليها، بالإضافة لتمكنه من توسيع حدودها الى مناطق لم تصلها، ودام حكمه حوالي خمسة وثلاثين عاما كانت عبارة عن حملات حربية جعلته سيد الشرق الأدنى واسيا الغربية (طه باقر،1973، ص504) بما فيها شواطئ البحر المتوسط السورية (جارودي،1986، ص137)

بدأت تهديدات شلمنصر الثالث ترتسم في عام 853ق.م، عندما حارب تحالفا مؤلفا: من الأمراء الأراميين والفينيقيين والفلسطينيين الذين عقدوا فيما بينهم هدنه لمواجهة ذلك الغازي القوى، وقد انضم (أخاب) ملك إسرائيل الى ذلك التحالف الذي منى بالهزيمة.

جاء بعد أخاب خلفه الملك (ياهو)، المصلح الديني، الذى قام بقتله ثم حاول إبعاد التهديد الخارجي بالتحالف مع: الاراميين و الفينيقيين، فدارت معركة في القرقار على نهر العاصي في سوريا، ورغم عدم حسم المعركة للقتال الدائر، إلا أن الأراميين و حلفائهم تكبدوا خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، فتمكن شلمنصر الثالث من إخضاعهم للجزية (سوسة،1978، ص22، جارودي،1986، ص137)

وتشير الحوليات الاشورية في السنة السادسة لحكم شلمنصر الثالث حدثت معركة قرقر سنة 853ق.م بالقرب من حماة السورية، وانه حارب تحالف مكون من اثنى عشر جيشا، وورد ذكر (احاب) الإسرائيلي في المسلة السوداء التي عثر عليها في "كخلو" المودعة في المتحف البريطاني" وقد سجل النصب الحجري القاتم اللون – الذى نقش علية بكثافة – بالحروف المسمارية بافتخار – أن القوات التي اصطفت لحرب شلمنصر كانت 1200عربة، و 1200 فارس، و2000من جنود المشاة من حماة، و

2000 عربة، و1000جندى مشاه من جنود (احاب)الإسرائيلي، و 500حندى من قيو،و100 جندي من مصر، و 10 عربات . و1000 جندي من أير قناطة"(فنكشتان، سيبرمان، 225)

ولم تذكر معركة قرقر في العهد القديم لاستنكار التوراة تحالف احاب مع العرب، واحتقاره (p25،Stern.1993)

و من الملاحظ ان احاب قتل على يد الاراميين في معركة "رموت جلعد" شرقي الاردن على يد الملك الأرامي بجانب "يهوشفط ملك يهودا" كما ورد في سفر الملوك الاول "فصعد ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا الى راموت جلعاد فقال ملك اسرائيل ليهوشافاط إني اتنكر و أدخل الحرب، و أما أنت فالبس ثيابك فتنكر ملك إسرائيل ودخل الحرب (ملوك أول22/29-30) وبناء على النص التوراتى فأن الملك الأرامي استغل الانقسام بين المملكتين، ودفع بالملكين الى الحرب من اجل الخلاص من احاب.

ورغم كل القوات التي جمعها ملك دمشق الأرامي الا انها لم توقف التدخل الأشوري، ومن الاشارات الهامة للملك شلمنصر الثالث إشارة بنص الأشورى عام 842ق.م في العام الثامن عشر من حكمه "عبرت الفرات في السنة الثامنة عشر من حكمي وانتصرت على "حزإل"ملك أرام المتحصن في جبل (حرمون)المطل على لبنان وحاصرت دمشق، وجبل حوران،"بعلى رأسي" واخذت الجزية من حكام صيدا و صور و" ياهو بن عمرى"(Luckenbill،1926)

كما ورد في مسلة شلمنصر الثالث والتي عثر عليها بين أنقاض مدينة كالح (نمرود)تشاهد عدة نقوش لحملات شلمنصر على البلاد التي فتحها مع كتابات تحت الصور تشرح ما يمثله كل منها. و في إحدى تلك النقوش ترى شلمنصر و هو يتلقى الجزية، من ياهو ملك إسرائيل في أرض عمرى ومن شوعة ملك "جلزام" وتشاهد الملكين ساجدين يقبلان الأرض عند أقدامه، و لما كان ياهو ملكا على إسرائيل ما بين 841و813ق.م، فمعنى ذلك أن شلمنصر كان قد أخضع إسرائيل للجزية طيلة مدة حكمه (سوسة،1978، ص22،23)

وتؤكد كل النصوص الاشورية ان كل ملوك إسرائيل دفعوا الجزية، وان الهدف من الحملات الاشورية لها اهداف اقتصادية بدرجة الاولى لدعم الامبراطورية الفتية، وكما أشرنا سابقا ان الاشوريين كان لهم اهداف عسكرية، واستطاعوا اثبات قوتهم، و أصبحوا امر واقع في منطقة سورية القديمة.

غير ان ملوك اسرائيل خرجوا على طاعة الملك الأشوري بنقضهم العهود و المواثيق، وكذلك دخولهم في تحالفات مع المصريين لذلك استمرت الصراعات على الرغم من الفرق الكبير بالإمكانات بين الامبراطورية الاشورية، واسرائيل بصغر حجمها(عرابي،2009، ص222)

كان بإمكان إسرائيل التمتع بالهدوء، لان الامبراطورية الأشورية لم تكن بوضع يسمح لها بالاعتداء حيث انتهت تلك الفترة التي اتسمت بعدم الاستقرار بمجيء الملك الأشوري (اددنيرارى الثالث)عام 811ق.م الذى خفف الضغط عن مملكة إسرائيل، بشنه حربا على الأراميين حيث استعاد مجد شلمنصر الثالث، كما كانت مصر متوارية عن الأنظار وقد ورد في حوليات "أددنيرارى الثالث" انطلقت من نهر الفرات،و اخضعت بلاد حاتى وبلاد اموروصور و صيدا و بيت عمرى و إدوم و بلستو، واخذت منهم الجزية"(Luckenbill 1926) ونلاحظ في هذه الحولية أن ملك السامرة ورد ذكره باسم "بيت عمرى" وليس مملكة إسرائيل.

. غير ان الوضع تغير عندما ظهر (تجلات فلازر الثالث) (745-727ق.م) الذي قام بتجديد سلطة الأشوريين (حتى،1958، ص213، معاوية ابراهيم،1994، ص122)

ثم عاد معه تطلع العراق الدائم الى استعادة الطرق الموصلة بين الهلال الخصيب والبحر المتوسط (جارودى،1986، ص137)

ثانيًا: حملات تجلات فلازر الثالث:

ومن الحملات التي شنها (تجليات بلاسر الثالث)، حملته على مملكة أرام ثم استيلائه على عاصمتها دمشق سنة 732ق.م وسبى اهلها وقتل ملكها (رصين)(سوسة،24). ولما قرر (هوشع بن أبلة) ملك إسرائيل عدم دفع الجزية الى اشور، وقام بعقد روابط بمصر أملا في دعمها له و أرسل الرسل الى فرعون مصر (سوا)، القى تجلات بلاسر القبض عليه ووضعه في السجن (الملوك الثانى،4/17) و استولى على اراضى اسرائيل ما عدا السامرة ثم ضمها الى اشور وحمل سكانها الى اماكن جبلية نائية من المملكة ثم احل محلهم سكان اقاليم اخرى (سوسة،24، الملوك الثانى5/17-6).
ولم يكتف تجلات بلاسر بالأسلوب القديم القائم على ابقاء الحكم الوطني تابعا له، بل بدأ بتطبيق سياسة جديدة قائمة على ارسال نائبي الملك من بلاد اشور لحكم المقاطعات المفتوحة، و أتبع جميع بلاد الشام لحكمه و قد جزأها الى مقاطعات(حتى،1958،ص213،معاوية ابراهيم،1994،ص122) وأشارت الادلة الاثرية و المصادر المكتوبة ان مدينة مجدو كانت تقع في المنطقة التي دمرتها قوات تجلات فلازر سنة 733ق.م،و اتخذت عاصمة للمقاطعة الأشورية الجديدة، وقد ذكر اسماء اثنين من حكامها في النقوش الاشورية، معنى ذلك ان مجدو دمرت بالتأكيد في عام 733ق.م . ثم أعيد بناؤها بعد ذلك بوقت قصير، و على ذلك تكون الطبقة الثانية اشورية، و من المحتمل انها دمرت مرة اخرى في سنة 609ق.م على يد الفرعون المصري(نخاو) في معركة مجدو(أولبريت،1988، ص131)
وورد في كتابات تجلات فلازر الثالث ما نصه:" قمت بضم جميع مدن بيت عومرى (يقصد ببيت عومرى مملكة إسرائيل التوراتية) في حملاتي السابقة، ولم اترك سوى مدينة السامرة .....)، ومما ذكر ان الاشوريين احتلوا غزة، و ان عمرى ثار ضد الملك الاشورى فعزله وعين "هوشع" بدلا عنه الذى دان بالولاء للاشوريين، ودفع الجزية(oppenheim،1969،p283) و يذكر ان عمرى حكم ما بين الاعوام 876و869ق.م(Thiele،1994،p138)وكان اشهر ملوك إسرائيل الاوائل ويدل اسمه على أصل عربي او بالأحرى نبطي .و كان من اثاره التي تركها مدينة السامرة التي اسسها و نقل اليها مركز الحكم من مدينة ترزة (تل الفارعة) ثم بنى في عاصمته الجديدة قصرا اظهرت الحفريات الحديثة أنه وجد به اثاث من العاج و يبدو ان جانبا كبيرا منه كان مكسوا بالذهب،و ذلك القصر هو المثل الوحيد لقصر تأكد العلماء من وجوده منذ ايام العهد القديم، و بلغ من الاثر الذى تركه (عمرى) في معاصريه انه لمدة قرن من الزمان – بعد انتهاء سلالته – استمرت الحوليات الاشورية بالإشارة الى السامرة باسم (بيت عمرى)(أبونحل،مخيمر،2008،ص224)

ورث (اخاب بن عمرى) (874-852ق.م) الحكم عن ابيه و تزوج من الأميرة الصورية إيزابيل(Kenyon،pp261-271)ابنة (اشبعل) ملك صور و صيدا، و التي تمتعت بشخصية قوية ونفوذ على زوجها، و حاولت فرض عبادة (بعل) صور على اسرائيل بموافقة زوجها (حتى، ص211،209،الملوك الاول 16/23-33)مما ادى الى نزاع طويل ومرير للسيادة على حياة اسرائيل الدينية بين عبادة (بعل) و عبادة (يهوه)(حتى،1958،ص211)

لم يكن ملوك اسرائيل فحسب انفردوا في العودة الى الوثنية و الارتداد عن الوحدانية لله او على الاقل بربهم (يهوه)، إذ سار رحبعام اول ملك على يهوذا بعد الانقسام على نفس الدرب الذى اتبعه اول ملك لإسرائيل فقد" ترك شريعة الرب هو وكل اسرائيل معه"(الملوك الثانى1/2) ثم تبعه خلفاؤه في ذلك حيث عبدوا الاوثان امثال: الملك احاز(735-715ق.م) والملك منسى (686-641ق.م)

وتعتبر معركة القرقار اهم حدث تاريخي حدث في عهد اخاب 853ق.م(Shuiab،2014،p98)

ولقد بينت هذه المعركة قوة العلاقات الآرامية الكنعانية الفينيقية، التي منعت الاشوريين من تحقيق احلامهم في المنطقة، وبذلك ظهر حلف جديد بين القوى المذكورة سابقا كما ورد في الحوليات الاشورية (Luckenbill،1926)

وعلى الرغم من اهمية هذه المعركة وشهرتها في النقوش الاشورية، مع ذلك لم ينتصر الأشوريين، مما اضطرهم الرجوع الى اشور (montgomcryp،1951،27)

وعثر على مسلة اشورية نقش عليها شرح كامل لحملات تجلات بلاسر الثالث على بلاد ارام ومملكة اسرائيل. وهنا تستوقفنا نقطة مهمة مقرونة بعلامة استفهام كما قال الدكتور أحمد سوسة. هل كانت مملكة حقا تسمى اسرائيل؟ فقد أفاض ملوك اشور في وصف حملاتهم على اقوام الشرق الادنى القديم وذكروا اسماء ملوك الدول التي اخضعوها و لقبوا حكام تلك الدول بالملوك إلا إسرائيل التوراة، لم يطلق عليها اسم اسرائيل، و لا ملكها ملك، إنما سميت (بيت عمرى)وذلك يدل على ان اسرائيل لم تكن اكثر من قبيلة، علما ان التوراة هي المصدر الوحيد الذى ادعى بوجود مملكة اسمها اسرائيل، وكما هو معلوم ان هذه المعلومات مستوحاه من التوراة المكتوبة في وقت متأخر، و دونت في بابل و هي مشحونة بالأساطير و المبالغات التي لا مجال لتصديقها، وبناء على ذلك لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر موثوق به في تدوين الأحداث التاريخية ما لم يوكدها مصدر اخر(سوسة،1990ص،25،24)

ويؤكد هذه الرواية ما وجد منقوش باللغة الآرامية على مسلة سرجون الثاني بين مخلفات "سمال" "زنجرلى" عاصمة الاراميين في الشمال الغربي لسوريا، وما كتب بلخط المسماري

ان ما يسمى بإسرائيل تم القضاء عليها واسر سكانها فسواء ما ورد في النصوص الاشورية او المسلة السوداء لم تذكر اسرائيل كدولة بل بيت عمري (سوسة،1978،ص641)

بعد ذلك توجه تجلات بلاسر الثالث باتجاه غزة وملكها (حانو) (حانون) الذى لم ينتظر قدوم الأشوريين وفر الى مصر أو مكان اخر يقع شمال الجزيرة العربية. غير اننا نرجح مصر لقربها من غزة. وبعد استيلاء الاشوريين على غزة عملوا على نقل إلهها بالإضافة لفرض الضرائب عليها (المبيض،1987، ص105)

وهنا نلاحظ ان الاشوريين لم يجدوا أي مقاومة كما ورد في النص التوراتى " وأرسل احاز رسلا الى تجلات بلاسر ملك اشور قائلا انا عبدك وابنك. اصعد و خلصني من يد ملك ارام و من يد ملك اسرائيل القائمين على (الملوك الثانى7/16)

و لم ترضى الضرائب طموحات تجلات بلاسر بل كان له هدف اكبر من السيطرة على فلسطين لأنه كان يعتبرها معبرا للسيطرة على مصر و اسيا الصغرى لغناها بالمعادن و الاخشاب و سواحلها المطلة على البحر المتوسط (مهران،1977، ص384،383)

ومن الملاحظ حملة تجلات بلاسر الثالث تعتبر المرحلة النهائية في تاريخ المملكة، وكما ذكر ان هوشع حاكم السامرة سلمها لخلفاء تيجلات بلاسر الثالث، بالإضافة لأرض "نفتلى" (شمال فلسطين) كما ورد في العهد القديم "في ايام فقح ملك إسرائيل جاء تغلت فلاسر ملك اشور و اخذ عيون و ابل بيت معكة و يانوح و قادش وحاصور و جلعاد و الجليل و كل ارض نفتالى وسباهم الى اشور(الملوك الثانى29/15) فهذا النص يدل على اخلاء بنى اسرائيل من ارض الكنعانيين الى اشور، وكما سنرى لاحقا ان عدد بنى اسرائيل الذين تم نفيهم اشور كان قليل نسبة الى باقي المدن السورية.

<u>حملات شلمنصر الخامس:</u>

خلف "شلمنصر الخامس"(727- 722ق.م) تجلات بلاسر الثالث على عرش الامبراطورية الاشورية، قام بحملة تأديبية على اسرائيل فحاصر عاصمتها "السامرة "مدة ثلاث سنوات، ولكنه لم يظفر بالنصر ووافته المنية في الشهر العاشر من عام 722ق.م (أبونحل، مخيمر،2008،ص257) ويذكر ان (هوشع) ملك اسرائيل رفض دفع الجزية، وطلب مساعدة مصر لحرب اشوركما ورد في العهد القديم "ووجد ملك اسرائيل في هوشع خيانة، لأنه ارسل رسلا الى سوا ملك مصر و لم يؤد جزية الى ملك اشور

حسب كل سنه فقبض علية ملك اشور و اودعه السجن كما ورد في العهد القديم "ووجد ملك اشور في هوشع خيانة .لا نه ارسل رسلا الى سوا ملك مصر ولم يود الجزية الى ملك اشو حسب كل سنة فقبض علية ملك اشور و اوثقه في السجن" (الملوك الثاني 4/17)

حملات سرجون الثاني:

يعتبر سرجون الثاني منقلب على أخيه شلمنصر الخامس (مرعى،1991، ص119)، ولقب نفسه "شروكين" باللغة الاكادية، وذلك تشبها بالملك سرجون الاكدى (باقر،1973،ص511)

أكمل القائد الأشوري مهمته باحتلال السامرة في عهد سرجون الثاني، خليفة شلمنصر الخامس وكما ورد في العهد القديم "في السنة التاسعة لهوشع ملك إسرائيل أخذت السامرة. وسبى ملك اشور إسرائيل الى اشور ثم وضعهم في حلح و خابور نهر جوزان و في مدن مادى" (الملوك الثاني 18/10-11) وبذلك تفرقوا بين الدول وسموا انفسهم بالأسباط المفقودة (طومسون،1995، ص291)

وتبعا للخطة التي سار عليها تجلات بلاسر الثالث اجلى سرجون الثاني 27،290نسمة من الإسرائيليين في السامرة الى المناطق الجبلية في مملكة اشور حاران وضفة الخابور وميديا،ثم احل محلهم الاراميين من اقليم حماه، ثم لحق بهم العرب هنالك في عام 715ق.م، وقد عثر عالم الاثار (بوتا) 1843م بين اطلال مدينة (زنجرلى) عاصمة الاراميين في شمال غرب سوريا على مسلة سرجون الثاني نقش عليها باللغة الاشورية وبخط مسماري تفاصيل الحملة الاشورية على مملكة اسرائيل التي انتهت بالقضاء عليها ثم حمل الإسرائيليين الى الاسر (سوسة،1990، ص25،26) ويؤكد النص التوراتى هذه الحملة" (الملوك الثانى17/1-6)

جلب الاشوريين من بابل جماعات من منطقة (كوثى)ليحلوا محل المسبيين من بنى اسرائيل (باقر، ص515). وقد امتزج المستوطنون الجدد ببنى اسرائيل ليشكلوا طائفة السامريين، حيث اتحدت معتقداتهم الدينية معهم بعبادة (يهوه) غير أنه تم الانشقاق النهائي بينهم حوالي عام 432ق.م، بعد عودة (عزرا، و نحميا) من السبي دافعا عن فكرة النقاء العنصري (حتى، 1958، ص214)

وكان نتيجة الاحتلال والتهجير لسكان السامرة الزواج من الاجناس الاخرى،أدى ذلك لظهور ما يسمى بالسامرين نسبة الى السامرة.

اختلفت الآراء حول أصل السامريين فأحد الآراء يقول ان السومريين خليط عرقي من اجناس مختلفة ظهر بعدما قام سرجون الثاني 721-704ق.م بخلخلة السكان و إعادة توزيعهم على اجزاء الامبراطورية (الباغ، 1988، ص24،251)

ويعتقد السامريين بأنهم من بنى اسرائيل وان انتمائهم الى سيدنا يوسف علية السلام (على1971،413)

ووجهة النظر العامة بالنسبة لأصل السامريين انهم من ابناء السلالات الغربية التي جلبها شلمنصر الخامس ثم قام بتوطينها في مناطق افرايم بدلا من القبائل العشر التي تم سبيها وتم اطلاق اسم الكوتين عليهم بعد ان تم توطينهم في السامرة، (سوسة،1990، ص316)

بينما رأى الكاتب اليهودي (أورئيل رفقوط) عكس ذلك حيث اشار الى ان السامريين هم من بقي من الشعب و الذين لم يتم سبيهم من المملكة الشمالية على يد الاشوريين و كانت لهم توراه تخالف توراة اليهود. ورأى الدكتور سيد راشد ان اتباع يهوه في السامرة قاموا ببذل جهود كبيرة لاستقطاب المستوطنين الجدد القادمين من بابل الى ديانتهم، كي لا يتأثر بنو اسرائيل بعبادتهم الوثنية، ويبدو ان اولئك المستوطنين قد استمروا رغم ذلك في ممارسة عبادتهم القديمة (أبو نحل، مخيمر،2008، ص259)

ويذكر ان السامريين لا يقبلون من التوراة الا اسفار سيدنا موسى، وينكرون رواية ان سرجون ملك اشور نفاهم الى بلاده ما بين النهرين، وجاء بأناس غيرهم من بابل و اسكنهم مكانهم في السامرة، وانهم هم في الحقيقة ليسوا سامريين،انما (شومرنيم)او (شومريم)، أي المحافظون على الديانة اليهودية القديمة(راشد،1987،ص23،21،عارف،1943،ص102).

وورد في كتابات سرجون الثاني ما نصه: وفي السنة الأولى من حكمي حاصرت السامرة واستوليت عليها..: ثم نقلت من الأسرى من تلك المنطقة ما يبلغ 27،290نسمة (سوسة،1990ص26،25).

وبذلك تلاشت مملكة اسرائيل الى الابد وصارت تسمى السامرة الاشورية (سمارينا الاشورية)، ولم يشكل المسبيون سوى قسم صغير من سكان مملكة غرب نهر الاردن والذي قدر عددهم (بأربعمائة) ألف نسمة، اما الذين تم سبيهم فقد اندمجوا بالحياة الجديدة. أما البحث عن الاسباط العشرة وادعاء بعض الجماعات في انجلترا والولايات المتحدة الامريكية أنها من نسلها ومتسلسلة عنها، إنما هي امور تدعو الى السخرية (حتى،1958، ص214،213، جارودي،1986، 137، معاوية ابراهيم،1994ص122)

وهناك رأى يقول ان الاسباط العشرة عاشوا في شمال العراق في إمارة (حدياب)، وعرف ملكها باسم (ايزايط) وحكم من عام 36-60 م، واتخذ من (اربيل) عاصمة له واستمر فى حكم هذه الدولة حتى عام 75م، ولعبت دور سياسي هام في ثورة اليهود ضد الرومان في فلسطين بين الاعوام "66-70"م(صايغ،1923،19)

ويذكر احمد سوسة أنه في 1901م وجد ت وثائق في مصر تدلل على قرية جنوب مصر اسمها (الفانتين)وسكانها يقال انهم من الاسباط العشرة (سوسة،1990، ص661).

ويرجع سقوط هذه المملكة الى انضمام اخاب ملك اسرائيل الى التحالف السوري ضد شلمناصر الثالث.

بالإضافة الى رغبة تجلات بلاسر الثالث السيطرة على الطريق الواصل بين البحر المتوسط ومنطقة الهلال الخصيب، ولقد لاحت الفرصة لتجلات الثالث بعدما رفض ملوك اسرائيل دفع الجزية،وعقد علاقات مع مصر من اجل مساندة اسرائيل في حربه ضد الاشوريين، لذلك القى القبض على ملك اسرائيل و ارساله الى السجن (جارودي،1986،ص137)

ولما كان مركز الثقل السياسي و القومي في فلسطين ممثلا في الساحل الجنوبي في غزة و عسقلان و رفح، فقد شكل امير غزة (حانون) و الذى عاد الى مدينته بعدما فر، ليشكل وحدة مع امير عسقلان، للتصدي لسرجون الثاني: بمؤازرة ملك مصر، وجميع المدن الفلسطينية لمحاربة الاشوريين باستثناء القبائل اليهودية في جنوب المرتفعات الوسطى التي فضلت الخضوع للسيطرة الاشورية، فبادر سرجون الثاني و بسرعة لمهاجمة التجمع الفلسطيني، حتى وصل الى اقصى الجنوب الفلسطيني وهزم (حانون) في مدينة رفح، ثم القى القبض عليه و أرسله اسيرا الى اشور، ثم نقل اله غزة الى الخارج مرة اخرى

غير ان غزة ورفح لم ترضيا الخضوع للمحتلين، فعاودتا الثورة من جديد بتأييد من مصر، فعاد سرجون مرة اخرى الى غزة ورفح سنة 712-713ق.م، فدمر غزة ثم اجبر سكانها على الخروج، مما دفع اميرها (إيماني) الفرار الى مصر، فأستتب الامر للأشوريين ونقلوا جميع اختام غزة خارجها(المبيض،1987ص،106)

وأشارت بعض اللوحات المسمارية التي وجدت في سبسطية و تل ابو شوشة الى ان حكام المناطق في فلسطين حتى القرن السابع ق.م كانوا من اصول اشورية (معاوية ابراهيم،1994، ص122).

الخاتمة والاستنتاجات:

توصل البحث الى العديد من الاستنتاجات المهمة:

1- تميزت العلاقة بين الممالك اليهودية بالصراع والعداء، والحروب المستمرة.
2- من أهم أسباب زوالهم الصراعات مع الدول المجاورة.
3- بعد ازالة المملكة تم نقل سكانهم الى مناطق الدولة الاشورية.
4- كان بإمكانهم العيش بسلام، ولكن خلافاتهم الداخلية ساعدت الاشوريين القضاء عليهم.
5- لا يوجد مملكة تسمى إسرائيل حسب الرواية الاشورية، انما (بيت عمرى) أو عائلة عمرى.
6- تم تشتيت السبايا من مملكة اسرائيل الى مناطق تابعة للدولة الاشورية.
7- لا يوجد شيء اسمه اسباط مفقودة، وانما مفتريات توراتية.
8- لم يعد يذكر في التاريخ مملكة اسرائيل، انما السامرة الاشورية (سامرينا الاشورية).

المراجع

الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) دار الكتاب المقدس، الشرق الأوسط

1- أبو نحل، أسامة؛ مخيمر، عصام (2008)، تاريخ فلسطين القديم بين روايات العهد القديم والدراسات الحديثة، مكتبة القدس، غزة
2- أولبرايت، وليم (1988) اثار فلسطين، ترجمة د. زكى إسكندر ود. محمد عبد القادر محمد، مراجعة: د. سعاد ماهر، ط2، دار الأسوار، عكا
3- جارودي، رجاء (1986) فلسطين أرض الرسالات الإلهية. ترجمة: حافظ الجمالي وصياح الجهيم، ط2، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
4- حتى، فليب (1958) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين. ج1، ترجمة: د. جورج حداد وعبد الكريم رافق، أشرف على مراجعته وتحريره: جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت.
5- الحديدي، عدنان وإبراهيم، معاوية (1994) تاريخ الشرق الأدنى القديم. ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان
6- الدباغ، مصطفى مراد (1988) بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت
7- الحوت،بيان نويهض(1991) التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين، دار الاستقلال للدراسات و النشر، بيروت
8- راشد، سيد فرج (1987) السامريون واليهود. دار المريخ للنشر، الرياض
9- سوسة، أحمد (1990) العرب واليهود في التاريخ، ط7، مراجعة العقيد حسن حدة، تحقيق فاطمة حمود، العربي للطباعة والنشر والتوزيع
10- سوسة، أحمد (1978) ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق. ط1، مركز الدراسات الفلسطينية – جامعة بغداد، بغداد
11- صايغ، سليمان (1923) تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، مصر
12- طه، باقر (1973) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. ج1، ط2، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد
13- طومسون، توماس (1995) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي. ترجمة: صالح على سوداح، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت.
14- طويلة، عبد الوهاب، عبد السلام (2004) توراة اليهود والإمام بن حزم الأندلسي، دار القلم، دمشق
15- العارف،عارف(1943) تاريخ غزة . مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس
16- العامري، محمد أديب (1972) عروبة فلسطين في التاريخ، المكتبة العصرية بيروت- صيدا
17- عرابي، رجاء عبد الحميد (2009)، سفر التاريخ اليهودي، ط2، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق
18- على، محمد كرد (1971) خطط الشام، ج5، بيروت، لبنان
19- عيد، مرعى (1991) تاريخ بلاد الرافدين، دمشق
20- فنكشتان إسرائيل، سيبرمان، نيل. التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الاثار
21- المبيض، سليم عرفات (1987)، غزة وقطاعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
22- مهران، محمد بيومي (1977) دراسات في تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية

المراجع الأجنبية:

1-Oppenheim, L. (1969). Babylon and Assyrian, Texts. ANET.
2-Stern, E. (1993). How bad was Ahab? The Biblical archaeology review, 19(2) , 18-29.
3-Thiele, E, R., (1994),'The Chronology of the kings of[47] Judah and Israel of 'Journal of Near Eastern Studies, (3)
4-Shuaib, M. G. (2014). The Arabs of North Arabia in later Pre-Islamic Times: Qedar, Nebaioth, and Others. The University of Manchester (United Kingdom).
5- Kenyon, k,M,(1979),Archaeology in the Holy Land (London: Ernest Benn Ltd)
6- LUCKENBILL, D. D. (1926). Ancient Records of Assyria and Babylonia. By DD Luckenbill. University Press.
7- Montgamery, J.A.(1951) .The BOOKS OF KINGS, London.